الباب الرابع

كوش ودورها القيادى فى وادى النيل

(١٥٨٠ — ٧٥٠ ق . م .)

أولا : تأثير الحضارة المصرية

يستطيع من يتتبع أثر الحضارة المصرية وانتشارها فى بلاد كوش ، أن يرى خطوات من التقارب والاقتباس تبدأ من طبقة الأمراء المحليين ، للأخذ بأسباب تلك الحضارة المتقدمة . وفى نهاية العصر الوسيط ظهر لنا أن السدود التى كانت تفصل بين حضارة المجموعة الثالثة وحضارة كرمة ، بدأت تزول تدريجيا عندما تكونت فى السودان الشمالى حكومة محلية مركزية موحدة . فنجد أصحاب حضارة المجموعة الثالثة فى مرحلتها الأخيرة ينتهجون الاسلوب المصرى فى دفن موتاهم . فبعد أن كان المألوف أن يوسد الجسد على جانبه الأيمن ، بينما الرأس فى اتجاه الشرق بحيث يتجه الوجه الى الشمال (١) ، نراهم الآن يدفنون موتاهم ، بحيث يرقد الجسد على جانبه الأيسر ، والرأس ناحية الشرق على الطريقة المصرية السائدة فى ذلك الوقت (٢) .

ومع اعادة الاتصال أيام الدولة الحديثة ، بدأت تظهر فى شتى أنحاء النوبة وشمال السودان عناصر مصرية عرفت طريقها الى أهل المنطقة . ولم يكد عصر تحوتمس الثالث يبدأ ، حتى اختفى الشكل التقليدى المعروف للمقابر ، فبدلا من الكوم المستدير القديم Tumulus انتشرت المقابر

---

(١) Junker Ermenna p. 15.

(٢) Op Cit., p. 49.

المصرية الشكل والتصميم ، مثل المقابر المحفورة والمقابر ذات الشكل الهرمى كاهرامات « دير المدينة » (٣) .

وأصبحت المراكز الحضارية مثل عنيبة وبوهين وغيرها تشبه فى مظهرها الى حد كبير المدائن المصرية ، هذا مع العلم بأن الميل الى تقليد العادات المصرية التى أصبحت طابع ذلك العصر ، قد جعل مهمة الباحث فى مخلفات ذلك العصر غاية فى الصعوبة ، حيث تعذر عليه أن يفرق بين ما هو مصرى وما هو من أصل محلى . فالباحث بين مخلفات حضارة ذلك العصر يعثر فى المقابر على التوابيت والتماثيل الصغيرة التى تعرف باسم المجاوبين ، وكان الغرض منها فى عقيدة المصريين أن تقوم مقام صاحب المقبرة للعمل فى حقول أوزيريس ، وبلغ عدد تلك الدمى فى بعض المقابر ٣٦٥ تمثالا صغيرا بعدد أيام السنة المصرية ، أى أنهم خصصوا لكل يوم من أيام السنة تمثالا صغيرا ليقوم بالعمل نيابة عن صاحب المقبرة ، اذا ما طلب الاله أوزيريس منه ذلك ، كما عثر على جعارين وتمائم وأوان مصرية وغيرها ، مما يطول تعداده من عناصر الحضارة المصرية ، وكان الجعل (أو الجعران) يرمز الى اله الشمس فى الصباح وهو من أكثر التمائم المصرية شعبية . فطبقا للعقيدة المصرية كانت الشمس تصعد الى كبد السماء مدفوعة بوساطة جعل كبير غير مرئى ، كما أصبح رسم الجعل يعنى (الكينونة) أو الدوام فى اللغة المصرية المصورة (الهيروغليفية) .

ولكى نكون موضوعيين فى نظرتنا للأمور ، ينبغى أن نفرق بين طبقة الحكام من الأمراء المحليين وبين عامة الشعب عند البحث فى مظاهر تفاعل عناصر الحضارة المصرية فى حياة أهل كوش أيام الدولة الحديثة . والواقع أن التمصر كان أكثر وضوحا بين الطبقة الغنية ذات النفوذ . فكانت رسوم

---

(٣) ودير المدينة جزء من جبانة طيبة ، خصص لاقامة ودفن عمال البناء والفنانين المشتغلين فى اقامة المعابد والمقابر الملكية المصرية فى العاصمة ؛
A. Lhote, Les Chefs-d-'Oeuvre de la Peinture Egyptienne, Paris, 1954, pl. 170.

مقابر الأمراء وأسماؤهم ذات طابع مصرى ، مما يدل على أن هؤلاء القوم اعتبروا الحضارة المصرية مثلهم الأعلى . فلو نظرنا مثلا الى مقبرة الأمير « حقانفر » Heka-Nefer أمير مدينة عنيبة أيام « توت عنخ آمون » ، لوجدناها صورة من المقابر الصخرية المنتشرة فى مصر وعلى الأخص تلك المقابر المنحوتة فى البر الغربى لمدينة طيبة .

ولهذا الأمير أهمية خاصة بالنسبة لدراستنا ، فنحن نعرفه من قبل من خلال رسوم الجزية المصورة فى مقبرة « حوى » نائب الملك فى كوش أيام الملك « توت عنخ آمون » ، هنالك صور الأمير « حقانفر » فى مقدمة الأمراء المحليين الذين حضروا لتسليم الجزية السنوية . والى جانب صورته الملونة تلوينا صادقا اضاف الفنان اسم الأمير دون سائر الأمراء المرافقين . وعند فحص مقبرة هذا الأمير فى مدينة عنيبة ، نلاحظ ، فوق المقبرة مباشرة ، متصورة صغيرة تحتوى على لوح منحوت فى الصخر ، وأمامه مكان يتسع لوقوف الزائر ، وعلى جانبيها قواعد لوضع التماثيل ، وهى فى مجموعها تشبه التفاصيل المعمارية السائدة فى مقابر « دير المدينة » ، ومن أجل ذلك افترض William K. Simpson وجود هرم صغير من نوع أهرامات « دير المدينة » بطيبة كان مقاما فوق المقبرة ، قبل أن تقضى عليه عوامل التعرية ، أما بالنسبة لتصميم المقبرة من الداخل فهى صورة من مقابر طيبة فى أواخر أيام الأسرة الثامنة عشرة ؛ فبعد المدخل ذى النقوش يوجد ممر ثم قاعة بها مشكاة ، فقاعة أخرى على امتداد المحور بها أربعة أعمدة مربعة ، وفى أرضيتها فتحة عميقة توصل الى غرفة الدفن ، وقد غطت جدران القاعة الأولى بالطين ، ثم طليت بالجص ، وبعدها رسمت وزينت بالمناظر الملونة وأمكن التعرف على هذه المناظر بصعوبة . ويبدو أنها من عمل فنان من طيبة ؛ من أولئك الذين أسهموا فى تجميل معبد عنيبة ، الذى يقع فى نفس المنطقة . والى جانب طراز القبر ، فان ما أمكن العثور عليه بداخله من الآثار ليقوم دليلا آخر على تغلغل الحضارة المصرية بين أولئك القوم ، حتى فى أدق خصوصيات الشعوب ، ونقصد بذلك المقابر ، وفى طريقة الدفن . فقد عثر داخل المقبرة مثلا ، على أربعة تماثيل صغيرة من

نوع تماثيل المجاوبين ، بالاضافة الى بعض ألوان من حجر الالبستر وبقايا عقود للزينة .

وبالاضافة الى مقبرة « حقانفر » هناك مقبرة الأمير « جحوتى حب » أمير « دبيره » أيام الملكة حتشبسوت (٤) ، وتعتبر أيضا ، صورة طبق الأصل ، من مقابر مدينة طيبة المصرية ، هذا مع العلم أن أسماء صاحب المقبرة وزوجته كلها مصرية ، فى حين أن والديه كانا يحملان أسماء محلية ، ويتضح من ذلك مدى سرعة انتشار مظاهر الحضارة المصرية بين اهل كوش .

ومن أهم الصورات المسجلة لمواكب تقديم منتجات كوش وجزيتها فى الدولة الحديثة ، تلك المناظر فى مقابر « نواب الملك فى كوش » والمنحوتة بالبر الغربى بطيبة ، وفيها مصادر علمية وفيرة ، تبين مدى التأثير المستمر لعناصر الحضارة المصرية على أهالى تلك البقاع من أرض كوش ، واذا تجاوزنا بعض التفاصيل ، يمكن القول بأن كل الأمراء المرافقين لموكب الجزية كانوا يرتدون الأزياء المصرية ، كما أن رجال بلاطهم ومرافقيهم كانوا يلبسون الأزياء المصرية أيضا ، الا أن ما سيق فى أعقابهم من أعداء قد احتفظوا بملابسهم الوطنية ، ولم تؤثر فيهم حضارة مصر ، ربما لبعدهم عن مراكز الحضارة ، التى وقفوا منها موقف العداء . كل ذلك يدفعنا الى الاعتقاد بأن الحضارة المصرية قد وجدت سبيلها الى كوش على يد أولئك الأمراء وأتباعهم ، (أنظر اللوحة رقم ٣) .

وكان للفنانين المصريين دور كبير فى نشر الفنون ذات الطابع المصرى فى ربوع كوش ، فكثيرا ما أوفدوا الى كوش فى مهام رسمية للاسهام فى اقامة المنشآت المعمارية العديدة . وتذكر النصوص المسجلة على احدى اللوحات التى عثر عليها فى كوه أن فنانى منف يرافقهم أحد المهندسين هم

---

(٤) Wild, Une danse nubienne d époque pharaonique, Kush VII, p. 76.

لوحه رقم (٣) حكام كوش فى زيارة لمصر

الذين اسهموا فى بناء معبد كوه (٥) ، كما اسهموا فى بناء وتجميل معبد آمون الشهير بجبل البركل (٦) ، ولا شك أن هؤلاء الفنانين المهرة قد ساعدوا على تكوين جيل من الفنانين المحليين الذين أخذوا يشاركون فى تطوير الفنون المحلية ، وظهرت نتيجة هذا الاتصال فيما نراه من الآثار الفنية الجميلة التى عثر عليها فى المقابر ، كأدوات الزينة والأثاث والملابس والأوانى .

وبدراسة مقارنة لمنتجات كوش المصورة على جدران مقابر الدولة الحديثة من قبل ثم من بعد عصر العمارنة (٧) يتضح لنا مدى التقدم الذى احرزه الفنانون المحليون فبالنسبة لعصر ما قبل العمارنة يمكن مقارنة المصورات والرسوم المسجلة على جدران مقبرة أحد رجال الدولة ويدعى « آمون موسى » على سبيل المثال (٨) ومقبرة « رخميرع » ، ويلاحظ أن معظم منتجات كوش كان يتمثل فى المواد الخام واهمها الذهب ثم العاج والأبنوس ، والبخور وجلود الحيوانات وبيض النعام والماشية والزراف والقردة . اما فترة العمارنة وما بعدها والممثلة على جدران مقبرة « حوى » ومقبرة « قن آمون » فى طيبة خير تمثيل ، فنتبين من خلال رسومها مدى التقدم الذى أحرزته كوش فى مختلف أنواع الفنون والصناعات اليدوية كصناعة الأثاث والعجلات ومراوح ريش النعام والأقواس والدروع (٩) .

وبطبيعة الحال استمر عدد من القوات المصرية مقيما بالبلاد بعد الفتح

---

(٥) Stele Kawa IV, 22, Kawa I Text, p. 91.

(٦) Reisner,M.F.A.B. XXI, p. 16.

(٧) عصر العمارنة ؛ نسبة الى تل بنى عمران ، وهو موقع مدينة الملك اخناتون (فى المنيا بمصر الوسطى) ، أول من نادى بالتوحيد ، وعصر العمارنة هو عصر تطور فى جميع أنواع الفنون المصرية ، كما أنه عصر التحرر والتمرد على القوالب الفنية الجامدة (حوالى القرن الرابع عشر ق . م .) .

(٨) Wreszinski, Atlas I, 285; JEA 26.
وآمون موسى معناه وليد آمون .

(٩) Davies, Tell El Amarna II, 38 and III, 15.

للاشراف على حفظ الأمن ، كما تطلب الأمر الاستعانة بعدد من رجال الادارة المدربين من مصر للعمل فى المراكز الحضارية ، حيث شاركوا فى انشاء جهاز ادارى منظم ، على نمط ما كان موجودا بمصر فى ذلك العهد ، وكان من نتيجة ذلك أن استقرت بعض العائلات المصرية فى تلك المراكز الحضارية .

وبدأت تلك المحلات الحضارية تغير من طبيعتها مع بداية الدولة الحديثة ، عندما انتقلت الحدود جنوبا الى ما وراء الشلال الرابع ، هنالك فقدت القلاع القديمة أهميتها ، وبدأت تتخذ شكل المدن الكبيرة فاستخدمت حصونها القديمة لحفظ كنوز معبد المدينة . والى جانب تلك المراكز الحضارية القديمة أنشئت مدن جديدة ، كان الغرض منها المساهمة فى ازدهار التجارة لتعمل كأسواق لتبادل منتجات كل من مصر وكوش ، فعلى الجانب الغربى للنيل عند دكه فى مواجهة قلعة كوبان قامت محطة حضارية مأهولة بالسكان أيام الدولة الحديثة ، كما أثبت « فيرث » (١٠) عندما أجرى فى تلك المنطقة حفائره ، وتحولت قلعة كوبان الى مدينة مفتوحة (١١) ولقد عثرت مصلحة الآثار المصرية على معبد للاله « حورس فى كوبان » يقع تحت طريق الكباش الخاص بمعبد دكه ، وذلك عند فك المعبد لنقله ، وهو المعبد نفسه الذى أشارت اليه الآثار كثيرا من قبل ، والذى خصصه الملك تحوتمس الثالث لعبادة الاله حورس القائم على الطريق المؤدى الى مناجم الذهب فى تلك المنطقة وهناك أيضا بنى رمسيس الثانى معبدا له .

كما أصبح لعنيبة عدة ضواح ، بعد أن اتخذت شكل المدينة المحصنة . وفى «توشكى» عثرت البعثة الأمريكية (Pennsylvania-Yale) على خاتم من الطين لقدر من الفخار من الأسرة الأولى ، وفى « فرص » بنيت معابد لكل من الملكة حتشبسوت والملك تحوتمس الثالث والملك توت عنخ آمون من ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وعثرت البعثة البولندية على معبد للملك تحوتمس الثالث أسفل الكنيسة التى كشفت عنها فى فرص ، وتبين أن

---

(١٠) Firth III, 238.

(١١) مجلة اليونسكو يناير ١٩٦٥ ص ٧ ، ٨ .

هذا المعبد أقيم على أنقاض معبد آخر من الدولة الوسطى . كما تدل النقوش التى عثر عليها فى « تحنوت ـــ سره » على أن تلك البقعة كانت مقرا لأسرة محلية حاكمة . وازدهرت مدينة بوهين كذلك واتسع نطاقها . أما منطقة الجنادل ، حيث القلاع التى أقامها ملوك الدولة الوسطى من قبل ، فظهرت فيها مجموعة من المعابد الصغيرة . وفى المنطقة الاستراتيجية الهامة بين وادى حلفا وكرمة على الجانب الغربى أقام ملوك الدولة الحديثة عددا من القرى المحصنة فى « عماره غرب» ، وصاى ، وسدنقه « صانقا » وصلب وسيسى Sesebi ، كان الغرض منها حماية المنطقة من غارات القبائل التى كانت تقطن الصحراء الغربية ، وتهدد بين الحين والحين بقطع طـرق المواصلات التجارية ، أما الموقع « عمارة غرب » فقد أجريت فيه حفائر فى سنتى ١٩٣٩ ، ١٩٤٧ ، وتبين أنه كان من المراكز الهامة التى أقيمت فى عهد الملك سيتى الأول . وكانت مقرا للقائم بأعمال نائب الملك فى كوش . وتم اختيار مكانها لأنها تشرف على الطريق الصحراوى من نهر النيل الى واحة سليمة . أما سيسى Sesebi فقد كشف عن آثارها كل من بلاكمان وفيرمان سنة ١٩٢٧ وتبين انها مدينة أنشأها اخناتون فى هذا الموقع لتكون منطلقا للتبشير بعقيدة التوحيد التى تزعمها (١٢) . كما أسس أمينوفيس الثالث مدينة كوه بمعبدها الشهير ، وهناك أيضا أقام توت عنخ آمون معبدا . ولعل أول ذكر لمدينة نبته فى التاريخ المصرى كمدينة محصنة تقع فى أقصى الجنوب أن يكون أيام أمينوفيس الثانى (١٣) .

وحتى الآن تشير أقدم آثار البناء فى كوه الى أن تحوتمس الرابع كان أول من شيد فى تلك المنطقة ، كما أن اللوح الكبير الذى عثر عليه هناك فى الموقع ٥٠٠ ب يرجع الى زمن تحوتمس الثالث .

وفى عمدا اقيم معبد اشترك فى تشييده كل من تحوتمس الثالث وأمينوفيس الثانى وتحوتمس الرابع (١٤) ، وعند الدر تم بناء معبد آخر .

---

(١٢) Emery, Egypt in Nubia. p. 95.

(١٣) Urk. IV 1297, 15.

(١٤) Gauthier, Amada, 191.

أما معبد كلابشة تلميس Talmis فاغلب الظن أنه شيد أيام أمينوفيس الثانى . وفى هذا المكان نفسه أقام الامبراطور الرومانى أغسطس (١٥) فيما بعد معبدا كبيرا . ولا شك أن سلسلة المعابد الصخرية فى بيت الوالى وجرف حسين ووادى السبوع والدر وأبو سمبل التى أقامها رمسيس الثانى فى منطقة النوبة السفلى انما تشير الى المحاولات الجدية لنشر الحضارة المصرية فى ربوع تلك البلاد . اذ قامت تلك المراكز الحضارية التى انتشرت فى بلاد كوش ، بدور الوسيط فى نقل نماذج ملموسة من نتاج الحضارة المصرية المتطورة لتكون فى متناول أهل البلاد .

وفى مقابر أهل تلك المنطقة عثر على كثير من السلع المصرية ، جلبها اليهم التجار المصريون الذين شاركوا بنصيب فى نشر الحضارة .

وقامت المعابد بدور كبير فى نشر العقائد والثقافة المصرية . وكانت المعبودات الطيبية هى أوسع المعبودات انتشارا فى كوش ، حيث أصبحت نبته مثل طيبة ، مقرا رسميا لمعبود الدولة آمون رع ، الذى قدس هناك باعتباره « سيد الوجهين القائم على جبل نبته المقدس » وبنى له معبد ضخم فى حضن جبل البركل ، ولعبت عقيدة حورس دورا كبيرا ايضا ، وانتشرت فى الجزء الشمالى من كوش ، فبين الحين والحين تقابلنا نصوص تذكر الاله « حورس فى كوبان » ، « وحورس فى عنيبة » و « حورس فى

---

(١٥) هو جايوس يوليوس قيصر أوكتافيانوس بن يوليوس قيصر بالتبنى . ولد سنة ٦٣ ق . م وتوفى سنة ١٤ م ، انتصر على قوات خصمه انطونيوس ومعه ملكة مصر البطلمية كليوباطره الأخيرة وقراتها فى موقعة أكتيوم البحرية غربى بلاد اليونان على البحر اليونى (وفى عام ٣٠ ق . م نودى به امبراطورا) وانضمت بعدها مصر الى الامبراطورية الرومانية كولاية ذات وضع خاص تخضع مباشرة للامبراطور الرومانى . ولقب امبراطور هو فى الأصل شرفى ، بمعنى القائد المنتصر الأعلى خلعه الجنود على قائدهم المنتصر ويكون له الحق فى استقبال رسمى عند عودته للعاصمة روما . ثم تحول منذ زمن أغسطس أوكتافيانوس هذا الى لقب وراثى .

ابو سمبل » ثم « حورس في بوهين » . هذا الى جانب تقديس الثالوث القديم لمنطقة الشلال الأول وهو خنوم ـــ ساتت ـــ عنوقيس ، وكان خنوم يصور في هيئة آدمي له رأس كبش أما ساتت وعنوقيس فصورتا على هيئة النساء . ولكن هذا الثالوث لم يظهر في المعابد باعتبار انه ضمن الآلهة الرئيسية للبلاد . أما عادة تقديس الملوك فكان لها شأن كبير في كوش ، وعلى سبيل المثال قدس الملكان سنوسرت الأول وسنوسرت الثالث من ملوك الدولة الوسطى المصرية ، وكانت لهما مجهودات كبيرة في بلاد النوبة . وكذلك الملوك تحوتمس الثالث وأمينوفيس الثالث وتوت عنخ آمون ورمسيس الثاني الذين اعتبروا حراسا للبلاد . وتردد اسم الاله مندوليس الها محليا لمنطقة النوبة .

وهكذا نتبين أن انتشار العقائد المصرية في كوش قد مهد كثيرا لانتشار الحضارة المصرية والواقع أن سياسة الدولة الحديثة تجاه كوش كانت تهدف الى التعاون مع أهل البلاد ، حيث سمح للأمراء المحليين أن يستمروا في حكم مقاطعاتهم ومدنهم ، كما كان يسمح لأبنائهم بأن يتربوا في القصر الملكي مع أولاد الملك ، حتى يألفوا الحضارة المصرية ، وليعدوا اعدادا خاصا حتى يخلفوا آباءهم في حكم اقاليمهم . وبعد أن أعيد ضم كوش الى مصر في أوائل أيام الدولة الحديثة ، وضع للبلاد نظام اداري على غرار ما كان موجودا في مصر ، فأصبحت البلاد بقسميها واوات وكوش تحت اشراف أحد كبار رجال الدولة ، وكان يختار من بين رجال الدولة المصريين ولم يكن من الأسرة المالكة ويحمل لقب نائب الملك « ابن الملك » في البلاد الجنوبية ، ثم أصبح يلقب بنائب الملك في كوش وحرفيا كان يسمى (ابن الملك في كوش) تجاوزا . ويلاحظ أن معظم من حملوا هذا اللقب أصلهم من طيبة ، واستمر استعمال هذا اللقب طوال الأسرات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ . وقد تركوا لنا آثارا عديدة ، وخاصة في دائرة عملهم ، بعضها عبارة عن نقوش صخرية ، وبعضها الآخر تماثيل والواح ، واحيانا أخرى تركوا مقاصير حجرية كاملة ،

كما هو الحال فى قصر ابريم وجبل الشمس (١٦) . وطبقا للتقاليد المصرية السائدة حينذاك ، كانت اقامة المقاصير ودور العبادة بأنواعها وكذا اقامة التماثيل فى المعابد وقفا على الملوك وأفراد أسرهم ، ولم يكن لتماثيل الأفراد محل فى دنيا المصريين الا فى سراديب المقابر المغلقة أو فى مزاراتها ، ولم يحدث فى تاريخ مصر القديمة خروج على تلك القاعدة الا فى حالات نادرة وبأمر من الملك شخصيا ، وفى حدود ضيقة جدا ، كما حدث فعلا بالنسبة للمهندس ورجل الدولة ايمحتب أيام الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة ، وايمحتب هذا هو الرجل الثانى بعد الملك زوسر ومهندسه القدير ، مصمم ومنفذ الهرم المدرج بسقارة ، ولقد سمح له الملك باقامة تمثاله داخل مجموعته المعمارية ، وعثر على قاعدة للتمثال تحمل اسم « رئيس الفنانين (النحاتين) ايمحتب» (محفوظ بالمتحف المصرى). ثم عندما منحت الملكة حتشبسوت وزيرها ومهندسها « سنموت » الاذن باقامة تمثاله وتصوير نفسه على جدران احدى مقاصير معبدها بالدير البحرى بطيبة . معنى ذلك أن اقامة مقاصير العبادة بوساطة نائب الملك فى كوش انما تشير الى مدى النفوذ المطلق الذى منحه الملك المصرى لشاغل ذلك المنصب . وينبغى أن نقرر أن اسم الملك قد ظل يحتل مكان الصدارة بين نقوش تلك المقاصير دون سائر أسماء المعبودات المصرية التى عودتنا نقوش النوبة ذكرها.. كما لم يرد ذكر لأسر أولئك الحكام بين نقوش تلك المقاصير .

وكان اشراف نائب الملك فى « كوش » يشمل المنطقة الواقعة جنوبى مصر التى امتدت من الكاب شمالا حتى نبته جنوبا ، وربما الى أبعد من ذلك ، ومقره عنيبه عادة ، وتحت أمرته العاملون فى الجهازين العسكرى والادارى ، وعلى رأسهم قائد الجيش وكان يلقب برئيس فرق الرماة ، يليه اثنان من المستشارين ، ويختص أحدهم بالجزء الشمالى « واوات » والآخر بالقسم الجنوبى المدعى « كوش » ويضاف الى واجباته الاشراف على جميع شئون

---

(١٦) L. Habachi, Kush VII, The First Two Viceroys of Kush and their Family, pp. 45-62; Porter-Moss VII, 92-93, p. 132.

البلاد ، وتقديم الجزية فى ميقاتها المعلوم ، حيث يقوم « نائب الملك فى كوش » على رأس الوفد المحلى المرافق للجزية ، ويشرف بنفسه على تسليمها لوزير الخزانة فى احتفال كبير ، يحضره عدد من الأمراء المحليين الذين يفدون فى صحبة « نائب الملك » الى طيبة . ومن حسن حظ المهتمين بالدراسات السودانية أن سجلت تلك المهرجانات مرارا على جدران مقابر كبار الوزراء أيام الدولة الحديثة ، باعتبارها من الأحداث الهامة فى حياتهم ، فهى الى جانب أهميتها بالنسبة لتاريخ مصر ، تحتوى على معين لا ينضب لرسم صورة لأهل كوش ، لا نجدها فى اى مصدر آخر . الى جانب التأكيد على مظهر الناس وأمرائهم وحاصلات بلادهم .

اما موضوع تكرار ذكر صفة « خس » khes اى المغلوبة عقب كلمة كوش فى بعض الوثائق المصرية . فالواقع أن هذا الاصطلاح التقليدى قد أطلق على كثير من البلاد الأخرى التابعة لمصر فى ذلك الحين ، بدليل ذكر قبائل الطمياح الليبية منعوته بهذه الصفة أيضا (١٧) .

ومع أن معظم أسماء من تولوا هذا المنصب الخطير مصرية الجرس ، فليس بمستبعد أن يكون بينهم أحد أبناء البلاد المحليين الذى استطاع بمهارته وحسن ولائه أن يتبوأ ذلك المنصب الهام . وسوف نعود للحديث عن ذلك الموضوع فيما بعد .

ومن المستحسن أن نستعرض أسماء من حملوا لقب نائب الملك فى كوش منذ ظهوره ، مع العلم أن صاحب اللقب سمى فقط بابن الملك والمشرف على البلاد الأجنبية حتى بداية عصر الملك أمينوفيس الثانى حتى بدأ لقب « ابن الملك فى كوش » فى الظهور . ولعل أحدث ما كتب عن هذا الموضوع ما ظهر فى مجلة لكوش (١٨) ، وبعد اضافة الأسمين اللذين عثر عليهما حديثا

---

(١٧) L.D. III 149, b.

(١٨) Habachi, op. cit., Cerny, Kush VII, 71, 75; L. Ae III, 4. Lieferung 20 (1979) S. 630-640 (Koerigsohn von Kusch), Kush VII, 71 75 ; Hintze, Kush XIII, pp. 13-16 and plates III, IV, Preliminary Note on the Epigraphic Expedition to Sudanese Nubia 1963, pp. 14-15 ; Arkell, History, p. 97. f.

فى « أرمنا شرق (١٩) » ، وكذلك الاسم Amen-em-nekhu الذى عثرت عليه بعثة جامعة هومبولد يمكننا أن نذكر القائمة التالية بأسماء نواب الملك فى كوش :

١ — زمن الملك كاموسى نائب الملك تتى	Teti
٢ — زمن الملك أحموسى نائب الملك جحوتى	Djehuty
٣ — زمن الملك أحموسى نائب الملك ساتييت	Sa-Taiyit
٤ — زمن الملك أمينوفيس الأول وتحوتمس الأول توير أوتورو (٢٠)	Thuwre-(Turu)
٥ — زمن الملك تحوتمس الأول والثانى سنى	Seni
٦ — زمن الملكة حتشبسوت آمون — ام — نخو	Amen-em-nekhu
٧ — زمن الملكة حتشبسوت ، الملك تحوتمس الثالث نائب الملك نحى	Nehi
٨ — زمن الملك أمينوفيس الثانى وسرسانت	Weser-satet
٩ — زمن الملك تحوتمس الرابع وأمينوفيس الثالث أمينوفيس	Amenophis
١٠ — زمن الملك أمينوفيس الثالث مريموسى	Mery-mose
١١ — زمن الملك أمينوفيس الرابع تحوتمس	Tuthmosis
١٢ — زمن الملك توت عنخ آمون حوى — أمينوفيس	Huy-Amenophis
١٣ — زمن الملكين آى وحور محب باسر الأول	Paser
١٤ — زمن الملك سيتى الأول ورمسيس الثانى أمينوفيس بن باسر الأول	Amenophis

---

(١٩) (تتى وجحوتى) Simpson. Toshka-Armenna, 1962.

(٢٠) Hintze, Civilization of the Old Sudan, 1968, p. 16 and pl. 55. «Turo, the first Viceroy of Nubia, on the Island of Uronarti».

١٥ــ زمن الملك سيتى الأول
ورمسيس الثانى يونى Yuni

١٦ــ زمن سيتى الأول ورمسيس الثانى ــ آمون امؤبة (٢١) Amenemopet

١٧ــ زمن الملك رمسيس الثانى حقا نخت Heqanakht

١٨ــ زمن الملك رمسيس الثانى حوى الثانى Huy II

١٩ــ زمن الملك رمسيس الثانى ستاو (٢٢) . Sethaw

٢٠ــ زمن الملك زمن الملك رمسيس الثانى باسر الثانى Paser II
وربما خدم الملك أيضا كلا من يونى الثانى ، مرى ــ نجم ، عنخ ــ حتب ثم حورى الأول

٢١ــ زمن الملكين مرنبتاح وأمينموسى (؟) مسوى Messuwy
وربما خدم أيضا فى زمن الملك سيتى الثانى .

٢٢ــ زمن الملك مرنبتاح خعمثترى (خع ــ أم ــ ثترى) (٢٣) Chaemthetry

٢٣ــ زمن الملك مرنبتاح سيتى (سوتخ) . Seti

٢٤ــ زمن الملكين مرنبتاح وست نخت مؤسس الأسرة العشرين (٢٤)
Hori II

٢٥ــ زمن الملكين رمسيس الثالث والرابع حورى الثالث Hori III

٢٦ــ زمن الملك رمسيس السادس سيسى Siese

٢٧ــ زمن الملكين رمسيس السابع والثامن نحو حور
Nahuher (Nahuhor)

٢٨ــ زمن الملك رمسيس التاسع ونتوات Wentawat

---

(٢١) لوح من قصر ابريم Porter-Moss VII, p. 94,
ولوح من بوهين Op. cit., p. 137.

(٢٢) متحف الخرطوم رقم 13162

(٢٣) اكتشفه كامينوس Caminos حديثا فى بوهين . انظر :
LAe, 1, 6, p. 881 Buhen

(٢٤) عثر على مقبرته فى مدينة بويسطه ، وعثر على جزء من منزله فى بوهين. كما عثر على مقبرة حورى الثالث فى تل بسطه ايضا .

(٢٥) انظر : LAe, 2 p. 171,

٢٩ــ زمن الملك رمسيس التاسع رمسيس نخت Ramses-nakht

٣٠ــ زمن الملك رمسيس الحادى عشر بانحسى (السودانى) Pa-nehesi

٣١ــ زمن الملك رمسيس الحادى عشر حريحور Herihor

٣٢ــ زمن الملك حريحور نائب الملك بعنخى Piankhy

٣٣ــ وبعد بعنخى هذا اختفى اللقب باستثناء نس ــ خنسو Nes-Khonsw ابنة الملك سمندس وزوجة الملك باى ــ نجم من الأسرة الحادية والعشرين ، وذلك لتحتفظ لنفسها بدخل ذلك المنصب الذى يرد من املاك الصعيد .

٢ ــ دور امراء كوش :

اخذ ملوك الدولة الحديثة فى مصر لادارة كوش نظام الحكم غير المباشر ، فظل الأمراء المحليون على راس اماراتهم ، طالما احتفظوا بولائهم لمصر . وقد اشارت النصوص المصرية الى تلك السياسة منذ أن لجأت مصر الى ضم تلك البلاد اليها لتأمينها ، وتأمين حدودها من غارات قبائل الجنوب ، فيذكر احد سجلات الدولة الحديثة (٢٦) : « ان هذه البلاد قسمت الى خمسة أقسام ، وكان كل امير مالكا لقسمه » . واذا فرضنا أن هذا التقسيم ظل معمولا به بعد ذلك ، لأمكن اعتبار كل من جحوتى حتب « باتيس » أمير دبيره ، والأمير « حقانفر » أمير معم عنيبة ضمن هؤلاء الأمراء المحليين .

معنى ذلك أن امراء البلاد المحليين شاركوا فعلا فى ادارة دفة الحكم أيام الدولة الحديثة كل فى منطقته ، وفى نفس الوقت كان عليهم تجاه نائب الملك فى كوش واجبات ، كان الوفاء بها دليلا على الولاء ، وشرطا لبقاء أسرة الأمير على راس الامارة فالى جانب الحفاظ على الأمن والقضاء على الثائرين كان عليهم الحضور على راس وفد اقليمى مع مهرجان الجزية السنوى القادم الى طيبة ، حيث يقدمهم الوزير الى الملك ، وتحدثنا الوثائق بأن

---

(٢٦) Urk. IV, 139, 5.

ارسال ابناء هؤلاء الأمراء الى قصر الملك ليتربوا مع أبنائه وينشأوا على ولائهم لمصر قد صار تقليدا متبعا طوال ايام الدولة الحديثة .

فعلى صفحات مقبرة « ايامو نجح » يقوم صاحب القبر بتقديم امراء الأقاليم الجنوبية على رأس وفودهم لتسليم الجزية ، ثم يستطرد « انهم اهدوا سيد الأرضين أولادهم (٢٧) . وضمن النقوش المسجلة على جدران مقبرة الوزير « رخميرع » (٢٨) نجد اشارة اخرى الى استدعاء ابناء أمراء كوش الى القصر الملكى فى طيبة .

وعندما كان هؤلاء الأبناء يكبرون ويحين الوقت لكى يحلوا محل آبائهم ، نجدهم يواصلون الاحتفاظ بالألقاب التى حملوها أيام نشأتهم فى القصر الملكى فى طيبة ، بل ويتباهون بذكرها ضمن القابهم الأخرى . وقد عثرنا على أمثله تلك الألقاب التى ظل أولئك الأمراء يحملونها رغم توليهم شئون الحكم فى أقاليمهم ، كاللقب الذى حمله امير عنيبة المدعو « حقانفر » اى الحاكم الطيب (٢٩) (انظر اللوحة رقم (٢) ..) .

وبمناسبة ذكر عنيبة مركزا لأسرة محلية حاكمة فى منطقة النوبة ، لابد أن نشير أيضا الى أريكا (٣٠) ، ثم الى « تحنوت — سيرة » . ففي دبيره التى كانت تتبع « سيرة » والتى تقع شرقى النيل وتبعد عن وادى حلفا حوالى ٢٠ كم الى الشمال ، عثر على قبر أحد هؤلاء الأمراء واسمه « جحوتى — حتب » أى الاله توت الطيب . ويحمل لقب « باتيس » حاكم « تحنوت — سيره » فى زمن الملكة حتشبسوت ، كان والده أيضا حاكما للمنطقة ، مما يدل على أن هذا المنصب كان وراثيا . ويلاحظ أن الأدب

---

(٢٧) Urk. IV, 949.

(٢٨) Urk. IV, 1102.

(٢٩) Aniba II, 250 f;Saeve — Soederbergh, S. 185 ; Simposon, Hela--Nefer, Publication of the Pennsyivania-Yale Expendition to Egypt, No. 1 New Haven and Philadelphia 1963, fig. 3-4.

(٣٠) Ermenne 37 and 41.

والابن يحملان اسمين محليين بينما حملت الزوجة وأخ الأمير اسمين مصريين ، وفى هذا اشارة ضمنية الى سرعة الأخذ بأسباب الحضارة المصرية المتقدمة ، والتى اصبحت طابع ذلك العصر (٣١) . وذلك خلال الفترة القصيرة التى سبقت حكم الملكة حتشبسوت .

واثبتت الحفائر التى أجريت فى القبر الصخرى لهذا الأمير تواتر شواهد اخرى تؤكد الاصل المحلى لأسرة الأمير « جحوتى — حتب » ، فضلا على المناظر الملونة على جدران المقبرة ، والتى تمثل جانبا من جوانب الحياة فى كوش فى ذلك الوقت ، كأعمال الحقل والرقصات الخاصة بأهل تلك البلاد ، عثر فى نفس المقبرة على مسند للرأس كالذى استعمل قديما فى كل من مصر وكوش ، ولكن صناعته تشبه ذلك الطابع الخاص بحضارة كرمة فى السودان التى عاصرت حضارة الدولة الوسطى المصرية .

وطبيعى أن الباحث لا يستطيع أن يهمل مثل هذا الكشف الأثرى الهام ، فهو من الناحيتين التاريخية والحضارية جد خطير . فنحن نعرف أن المؤرخ يسعى جاهدا الى الحصول على مصادر أصلية ، كى يتمكن من رسم صورة تقرب من الحقيقة لشعب كوش أيام الدولة الحديثة ، حيث أن جل اعتماده حاليا ينصب على المصادر المصرية . ومع أننا هنا أمام مقبرة أحد أفراد الأسرة الحاكمة المحلية ، بيد أن بعض مناظرها القليلة التى حفظتها الأيام ، لها صلة وثيقة بطبيعة البلاد وعادات أهلها ، على الرغم من الأثر الواضح للحضارة المصرية .

ويقينى أن مناظر الرقصات وغيرها مما سجل على جدران تلك المقبرة ، تحتاج الى المزيد من الدراسة ، فالمرء لا يستبعد أن يكون بعض الفنانين المصريين الذين نزحوا الى كوش للمشاركة فى اقامة المنشآت المعمارية بأنواعها ، قد اضطروا بحكم طبيعة عملهم أن يستوطنوا تلك

---

(٣١) Saeve-Soederburgh, S. 123; Statue Khartoum No. 92; R. Moss R. Moss JEA, 39, 42; Wild. Kush VII, Une danse nubienue d'épouque Pharaonique, p. 76 ff.

البلاد ، وبطبيعة الحال كان عليهم أن يستعينوا ببعض الفنانين المحليين ، ومن هنا يمكن توقع امكانية قيام مدارس محلية جديدة ، تجمع بين المهارة الفنية المصرية وبين عنصر الأصالة فى التعبير عن البيئة المحلية .

ورغما يثار الاعتراض بأنه فى بداية الدولة الحديثة كان المنتظر أن يقوم فنانون مصريون فقط بأعمال الانشاء والزخرفة . لعدم توافر جيل متمرن من الفنانين المحليين ، هذا بعكس الحال بعد أن استقرت عناصر الحضارة المصرية فى بلاد كوش فى منتصف أيام الدولة الحديثة أيام توت عنخ آمون . ولكن هذا الاعتراض مرفوض ، لأن عهد أهل كوش بالحضارة والفن المصرى القديم لم يبدأ مع أيام الدولة الحديثة فحسب ، وانما سبق ذلك بقرون عديدة . فمنذ أيام الملك سنوسرت الثالث من الدولة الوسطى ، وحركة الانشاء فى مناطق النوبة تعطى لأهل البلاد النموذج الملموس للفنون المتقدمة . وقد لاحظنا ذلك أيام قيام مملكة كوش فى شمال السودان بعد سقوط الدولة الوسطى ، وهى التى عاصرت زمن الهكسوس فى شمال الوادى حينا من الدهر . والمصادر الأصلية عن حضارة تلك الفترة من تاريخ شمال السودان قبل قيام الدولة الحديثة تكاد تكون منعدمة ، الا اننا نفترض قيام مملكة كوش على قدم المساواة مع المملكة المصرية فى طيبة ومملكة الهكسوس فى شمال الوادى ، وبعد أن أخذت من أسباب الحضارة المصرية بنصيب وافر .

واذا تأملنا تلك المقبرة نلاحظ أن حائطها الشمالى عليه مجموعة من الرسوم الملونة ، تحتاج الى اعادة نقل صورها بطريقة أو بأخرى ، لكى تبدو أكثر وضوحا ، من بينها صورة صاحب المقبرة وزوجته جالسين ، بينهما مجموعة العازفين والراقصين ، وعلى الحائط الغربى تصوير صادق للطبيعة النباتية التى سادت تلك المنطقة من السودان فى ذلك العصر ، فنرى صاحب المقبرة واقفا وفى يده عصاه وهو يشرف على أعماله التى يقوم بها الفلاحون (٣٢) .

---

(٣٢) Thabit, Tomb of Djehuty -Hotep Prince of Serra, Kush. V. p. 85.

تبدو أهمية هذا المنظر جلية فى تصوير عدد وفير من الأشجار التى كانت منتشرة تصويرا ربما يمكننا من التعرف عليها ودراستها ، فهناك أشجار النخيل والدوم والسنط • وجدير بالملاحظة أن تلك الأشجار مازالت موجودة فى المنطقة • وصدق الرسام فى تصوير الطبيعة النباتية ، والحيوانية حينما صور بعض القردة تتنقل بين الأشجار ، كما صور الفنان بعض العمال باللون الاسود وبعضهم باللون البنى ، فلعل بعضهم كان ينتمى الى أهل الجنوب • وتجدر الاشارة الى تكرار تسجيل هذه الظاهرة ضمن مناظر مهرجانات تسليم الجزية ، والتى حفظتها لنا الأيام بوفرة ووضوح فى العديد من مقابر طيبة،وبدون أن نخوض فى مسائل تخص علم الأجناس ، ومادمنا نكتفى فقط بالناحية الحضارية للموضوع ، فاننا نستنتج من هذا التصوير المزدوج وجود نوعين من السكان استوطنا أرض كوش فى ذلك الزمن ، وأن العنصر الأسود قد شاع وجوده فى البلاد الى الدرجة التى أصبح معترفا به ، فسجلوه ضمن ما سجلوا من مناظر • ومع أن كل الرسوم المسجلة على جدران مقبرة « جحوتى ـ حتب » لاتكاد تراها العين المجردة نتيجة لفعل عوامل الطبيعة ، الا اننا نستطيع أن نتبين من بينها أيضا صورة صاحب المقبرة فوق عجلته الحربية يتقدمه أحد الجنود أو الأتباع •

وهكذا رأينا كيف شارك الأمراء المحليون فى حكم بلادهم بعد أن انضمت الى مصر فى زمن الدولة الحديثة ، وساعد هذا النظام على استمرار ازدهار بيوتات الامارة فى كثير من مناطق شمالى السودان ، تلك الامارات التى وصلت معلا الى درجة من التقدم الحضارى منذ سقوط الدولة الوسطى ، وأخذت تنقل عن الحضارة المصرية طوال أيام الدولة الحديثة ، لتعد نفسها لدور قيادى فى حياة هذا الوادى ، تنقذ فيه الوادى كله من خطر الانهيار الحضارى ، وخطر الغزو الأجنبى الذى قدم من الغرب ثم من الشرق • ورغم قلة المصادر التاريخية، أمكن لرحال الآثار ـ حتى الآن ـ الكشف عن مقابر عدد قليل من هؤلاء الأمراء المحليين ، الذين ساهموا بنصيب فى الحكم أيام الدولة الحديثة من أمثال « حقانفر » فى عنيبة « وجحوتى حتب » وابنيه « ريو » « فى سره » كما أوضحنا•

٣ ـ نشاط اهل كوش فى مصر ٠

لم يقتصر نشاط رجال كوش اللامعين على بلدهم فحسب ، وانما امتد ليشمل مصر ايضا ، فقد اكتسب اهل كوش ، منذ القدم ، شهرة كمحاربين شجعان ، كما امتازوا بالأمانة والاخلاص ، مما مهد لهم تولى بعض المناصب الهامة فى جهاز الدولة المصرية أيام الدولة الحديثة ٠

وفيما سلف رأينا كيف كان ينظر الى عساكر كوش بكثير من التقدير ، وكيف استعان بهم أمراء الأقاليم أيام ازدهار الاقطاع على أثر سقوط الدولة القديمة ، ثم كيف كان ينظر الى اهل كوش أيام فترة الانحلال بعد سقوط الدولة الوسطى ، عندما ازدهرت مملكة كوش المستقلة فى شمالى السودان ، بينما حكم الهكسوس فى شمال الوادى ، والمصريون فى طيبة ٠

ولما دار الزمن دورته ، وأعاد ملوك الدولة الحديثة على الوادى وحدته ، أعطى لأمراء كوش سلطة معلومة فى نطاق اقاليمهم ٠ واستمرت شهرة عساكر كوش كمحاربين ، فكان الملوك يصرون على استدعاء نفر منهم ليكونوا ضمن حرسهم الخاص ٠ ففى زمن تحوتمس الثالث يرد ذكر اختيار عشرة رجال من كوش ليصبحوا ضمن حرسه الخاص (٣٣) ، كما تردد ذكر اختيار جنود من كوش فى الوثائق من زمن الدولة الحديثة ، ليكونوا من رجال الملك المقربين ، كحامل المروحة للملك ، أو قائد العربة الملكية ، أو حامل العلم (٣٤) ٠ واذا ما فحصنا ذلك الرسم المسجل على الصندوق الجميل الخاص بالملك توت عنخ آمون ، نتبين أن حامل المروحة كان من اهل كوش ٠

ولو شئنا أن نحدد أشخاصا بعينهم من أهل كوش ، ممن استطاعوا تبوأ مراكز هامة فى ادارة الدولة الحديثة ، لقامت فى طريقنا عقبة ، وهى صعوبة التفرقة بين من هو مصرى ومن هو من اهل تلك البلاد ، نتيجة تمصر الطبقة الحاكمة فى كوش ٠ ومع ذلك فهذه بعض المحاولات التى وصلت بنا الى النتائج الآتية :

---

(٣٣) Urk. IV, 695, 17.

(٣٤) L.D. III, 218, c; Urk. IV, 16, 5

١ ـ فى وادى الملوك بطيبة مقبرة للمدعو « مـاى ـ حور ـ برى » May-Hor-Pery ، وصاحب هـذه المقبرة يحمـل القـابا تدل على تمتعـه بثقة الملكة حتشبسوت ، ومن بينها ما يدل على انه تربى فى القصر الملكى مع أبناء فرعون ، وانه شغل منصب حامل المروحة على يمين الملك ، وكان ضمن رفقاء الملك فى تحركاته الى البلاد الأجنبية فى الشمال والجنوب • وهناك من الشواهد ما يحملنا على اعتبار « ماى ـ حور ـ برى » من أهل كوش ، فاذا لم نأخذ كثيرا فى الاعتبار سواد بشرته الملاحظ فى مومياته ، وكذلك شـكل جمجمته ثم صوره فى أوراق البردى التى عثر عليها معه فى مقبرته ، فان دراسة مصوراته وبعض مخلفات مقبرته تكاد تؤكد أصله المحلى ، فهناك نماذج من الصناعات والملابس المصنوعة من الجلد تضاهى نظيرتها المميزة لحضارات كوش قبل زمن الدولة الحديثة (٣٥) ، وكذلك فان طريقة استعمال الصدف فى صنع عقود الزينة لها ما يماثلها فى كل من حضارة المجموعة الثالثة وحضارة كرمة • وقد جذب اهتمامى على الأخص زينة الأذن التى تميز بها «ما ـ حور ـ برى » اذ عثر ضمن مخلفاته على زوج من الاقراط من النوع الاسطوانى المستدير المصنوع من العقيق • وبفحص أذنى مومياته تبين أنهما مثقوبتان ، ممـا يؤكد ـ بما لايدع مجالا للافتراض ، أن « ماى ـ حور ـ برى » قد استعمل تلك الحلى التى ميزت معظم حضارات كوش منذ أيام المجموعة الثالثة وكذا حضارة كرمه ، والتى استمر استعمالها هناك أيام الدولة الحديثة وحتى نهاية العصر المروى •

٢ ـ وصاحب المقبرة رقم ٧٤ بمنطقة « الشيخ عبد القرنة » بطيبة الذى يحمل اسما غير مصرى : « ثنى » عاش وخدم زمن الملك تحوتمس الثالث والملك تحتمس الرابع سكرتيرا ملكيا (وهى وظيفة ذات طابع حربى) وقائدا عسكريا ، وحمل كذلك عددا من الألقاب التى تدل على مبلغ نفوذه •

فبالاضافة الى اسمه الذى يحتمل أن يكون مروى الأصل ، والذى كتب بطريقة المقاطع ، وهى الطريقة التى اتبعها المصريون فى كتابة الأسماء الاجنبية

---

(٣٥) Kerma II, 19; Ann. Serv. IV, 46.

الغريبة على الأصوات المصرية ، هناك لون بشرته المائل الى السواد • كما تذكرنا الطريقة التى صور بها بالرسم الذى عثر عليه ضمن مقابر المحاربين السود أصحاب تلك المقابر على هيئة حفر تشبر القدور المسماة (Pan-graves) والتى انتشرت بين الشلال الأول وبين « دير ريفة » بالقرب من اسيوط فى العصر الوسيط الثانى حتى أيام طرد الهكسوس • والمعتقد أن لهم صلة وثيقة بكتائب المحاربين (المجاويين) الذى استعان بهم ملوك التحرير لطرد الهكسوس من مصر فى مطلع الدولة الحديثة ، هذا وقد أطلق العالم الألمانى « زيته » على صاحب هذا الرسم لقب « البشارى » نسبة الى قبائل البشاريين ، التى يعتقد أنها نفس قبائل « المجا » القديمة ، كما يلاحظ التشابه بين التسميتين • وكذلك يحتمل أن « ثنى » هذا قد وفد الى مصر مع أمثال تلك الفرق المحاربة ، وأنه تدرج فى المناصب حتى وصل الى منصبه الهام كقائد عسكرى •

٣ ــ وفى زمن الملك تحوتمس الرابع عاشت فى طيبة عائلة المدعو «حور محب» التى أثارت اهتمامنا ، اذ صور ثلاثة من أفراد تلك العائلة على جدران المقبرة رقم ٧٨ فى طيبة بشكل يختلف عن العرف الذى ساد فى ذلك العصر بزينة هى فى صميمها عادة قديمة لأهل كوش • ونقصد بذلك الأقراط المستديرة ذات الحجم الكبير نسبيا ، والصور المذكورة تخص ثلاثة اخوة حملوا جميعا أسماء مصرية ، أما أحدهم فحمل لقب رئيس فرق البوليس الكوشية ، كما يلاحظ أنه قد صور وفى يده قوس ، وهو السلاح الذى طالما برع سكان جنوب مصر وشمال السودان فى استعماله حتى أصبح علما عليهم ، فلقبهم المصريون من قديم الزمن باسم أصحاب الأقواس • من تلك الشواهد وهى التحلى بالأقراط المستديرة ، وتزعم فرق البوليس الكوشية ، والتباهى بحمل سلاحها المميز ، الى جانب تسجيل صور تسليم حاصلات الجنوب ضمن مناظر المقبرة ، مع التجاوز عن الأسماء المصرية التى حملها أفراد الأسرة ، والتى قد يكون مردها الى موجة التمصر التى ميزت ذلك العصر من تاريخ السودان الشمالى • يمكن مع التحفظ اعتبار العائلة من أصل محلى أى من أهل كوش •

٤ ـ وهناك حالة أخرى من أيام الرعامسة (٣٦) تستحق الدراسة ، ففى قرية تسمى حاليا « نجع البقع » جنوبى دبود فى النوبة المصرية يوصى أحد كبار موظفى الدولة المدعو « نخت ـ مين » (ومعناه مين القوى ، أو عزم الاله مين) ناظر خاصة الملكة ، بأن تكون تلك القرية الصغيرة النائية مستقره الأخير، مخالفا القاعدة المتبعة التى كانت تقتضى دفن كبار الموظفين أمثال « نخت ـ مين ناظر خاصة الملكة ، بأن تكون تلك القرية الصغيرة النائية مستقره الأخير، الاقليم - وهذا ويدخل فى الاعتبار أن الكاهن الذى أشرف على دفن « نخت ـ مين » ذكر ضمن نصوص المقبرة مناديا صاحبها « انك (ترقد هنا) فى مقبرتك. (تلك) التى شيدتها فى مدينتك بأمر سيدك » معنى ذلك أن « نجع البقع » تلك القرية النوبية الصغيرة ـ هى موطن موظف الدولة الكبير « نخت ـ مين ». ومن هنا نشأ احتمال أن يكون « نخت ـ مين » من أصل محلى .

٥ ـ وأهم تلك الشخصيات جميعا نائب الملك فى كوش المدعو «بانحسى» الذى ظهر فى نهاية عصر الرعامسة ، وأوكل اليه اعادة الأمن الى مصر كلها ، فحفظ على مصر وحدتها ، وصانها من التردى فى الهاوية ، ثم ترك مقاليد الأمور وعاد الى موطنه الأصلى فى عنيبة حيث دفن ، وطبيعى أن جل اعتمادنا لا ينصب على اسم بانحسى (ومعناه السودانى) فحسب ، وانما الأهم من ذلك انه سمح أن تكون عنيبه مقره الأبدى ، وربما كان ذلك يعنى انها موطنه الأصلى ، أى أن بانحسى (السودانى) قد استطاع بفضل كفاءته أن يصل الى ارقى مناصب الدولة ، وهو منصب نائب الملك فى كوش .

ولا يفوتنا أن نشير الى أن المحاضر القضائية الخاصة بعملية سرقة المقابر أواخر أيام الرعامسة قد أشارت الى اجراءات الأمن القوية التى قام بها بانحسى ، نائب الملك فى كوش ، ومن بعضها نتبين ما يفهم منه أن المصريين

---

(٣٦) والمقصود بعصر الرعامسة : عصر الأسرتين ١٩ ، ٢٠ ، حيث سمى معظم الملوك « رع ـ مسى » أى « وليد رع » ، ثم أضيف الى الكلمة الحرفان IS فى النطق الاغريقى ، الذى انتقل عن طريقه الى اللغات الأوربية فأصبح النطق رعمسيس ثم رمسيس .

قد نظروا الى بانحسى نظرتهم الى غير المصرى (٣٧) ٠

ولا جدال فى أن وصول بانحسى الى منصب نائب الملك فى كوش انما كان نتيجة طبيعية لتطور العلاقات بين مصر وكوش منذ أقدم العصور حتى أواخر زمن الدولة الحديثة ، وانتشار الحضارة واستيطانها فى كوش ٠

ويعتبر نائب الملك فى كوش بانحسى من اهم الشخصيات التى لمعت فى تاريخ كوش حتى أواخر أيام الرعامسة ٠ نشأ أصلا وحسب شواهد الأمور ، فى مدينة عنيبة ، وكانت حينذاك المركز الادارى الكبير لكوش ومقر نائب الملك ، وهناك فى الجبانة المشار اليها بحرف S عثر العالم شتايندورف على مقبرة تحمل اسم بانحسى ٠ وحيث اننا لم نعثر له على مقبرة أخرى فى طيبة أو فى غيرها ، فيمكن التسليم بأنه دفن فى مقبرة عنيبه هذه،وقد اعتبرها المكتشف شتايندورف من احدث المقابر الموجودة فى ذلك الجزء من الجبانة ، اذ أنها تنتمى الى زمن رمسيس الحادى عشر ٠ ومن دواعى الأسف ان كل مبانى المقبرة التى كانت موجودة فوق سطح الأرض زالت لدرجة لايمكن معها التكهن بشكل القبر الظاهرى٠ اما الجزء الأسفل المحفور فى الصخر الطبيعى ، فأنه يتخذ شكلا فريدا فهو محفور على مستويين ٠ وعلى عتب الباب المؤدى لغرف المقبرة الموجودة فى الطبقة الأولى عثر على النص الجنائزى الذى يؤكد نسبة القبر لبانحسى ، فهو كالآتى : « ابن الملك (أى نائب الملك) بانحسى صادق الصوت ، والمرحوم من لدن أوزيريس وأنوبيس ، القائم على الخيمة المقدسة وسيد الميزان » (٣٨) ٠

---

(٣٧) Peet, Great tomb robberies II, pl. xxxi, 10 18; Kees, Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates, S. 12; Peet JEA, 12, 257.

(٣٨) كان المعبود أوزيريس ملك العالم السفلى ورئيس محكمة الموتى ، حيث يحاسب كل انسان على ما اقترف فى دنياه ٠ فيوزن قلبه أمام رمز الصدق٠ وهناك كان يقف المعبود أنوبيس مشرفا على الميزان ٠ كل ذلك صوره القدماء مرارا على أوراق البردى ـ التى عرفت بكتاب الموتى ٠

أما محتويات القبر فقد نهبت من قبل ، ولم يعثر الأثريون فيها الا على أشياء قليلة ، منها جعل كبير ممـا يصنع بغرض استبدال القلب به أثناء عملية التحنيط ، وكان يحمل اسم « سيدة الدارتنوب » وتميمتين من العقيق والخرز وخاتم وبعض الأجعال (الجعارين) أحدها يحمل اسم الملك تحوتمس الثالث .تيمفا ، ثم اناء خشبى لحفظ الكحل بالاضافة الى بعض الأدوات الصغيرة •

ورغم قلة الآثار التى أمدتنا بها مقبرة بانحسى فى عنيبة ، فاننا نستطيع أن نرسم صورة مستمدة من مصادر تاريخ مصر خلال تلك الفترة الأخيرة من عصر الرعامسة ، فقد كانت أمور مصر فى نهاية الدولة الحديثة تنحدر من سيء الى أسوأ ، عندما تكاتفت عليها عوامل الضعف ، وتكاثر أعداؤها وأخذوا يطبقون عليها من جميع الجهات تقريبا ، فبعد الحرب المريرة بين مصر وبين دولة الحيثيين ، تعرضت البلاد لشر مستطير ، اتاها فى شكل هجرات كاسحة من الشرق ومن الشمال ، من البر ومن البحر قامت بها شعوب عرفت باسم شعوب البحر يمثلون العديد من الجنسيات • ومع نجاح مصر أيام رمسيس الثالث فى صد كل تلك الأخطار ، الا أن العبء كان أثقل مما تتحمله البـلاد ، فظهرت عليها أعراض الشيخوخة متمثلة فى سوء الأحوال الاقتصادية وكثرة الشكوى من ارتفاع الأسعار وازدياد الضرائب ، فأدى ذلك الى اضطراب الميزان وبدت على البلاد مظاهر ضعف لم تعرفها من قبل ، ذلك أن جيش العمال فى غرب طيبة ، الذى كان يشرف على اقامة المعابد والمقابر الملكية ، بدأ أفراده يطالبون الوزير بدفع متأخرات رواتبهم ، وطرد شبح الجوع عن أسرهم • ولما كانت خزينة الدولة خاوية فان العمال استمروا فى تهديداتهم وشكلوا خطـرا فعليا على الدولة ، وفى نفس الوقت تكونت عصابات للسطو على مقابر الملوك ومقابر رجالات الدولة فى كل من وادى الملوك وهضبة طيبة الغربية ، وشكت للمتامرين عدة محاكم ، وصلت الينا محاضرها الرسمية • ولكن المحاكمات لم تمنع استشار السرقات مما أجبر الملوك على الاسراع فى انقاذ ما تبقى من موميات أجدادهم ، فأعيد دفنها على عجل فى مخبىء سرية • ولقد انتهزت عائلة الكاهن الأكبر لآمون المدعو « رمسيس نخت » فرصة ضعف الملوك وتمكنت من السلطة ، فأصبحت مصائر البلاد السياسية والاقتصادية والدينية فى أيدى أفرادها • وفى زمن رمسيس الحادى عشر كان « آمون حتب » (أمينوفيس) ابن « رمسيس نخت » (أى رمسيس القوى) على رأس كهنة آمون الذين امتلكوا

اغتصب أراضى مصر ، وكان أخوه « نس آمون » هو الكاهن الثانى لآمون ، فسيطروا بذلك على دخل المعابد ، كما كان منهم أيضا جامعو الضرائب • هنالك ـ وقبل العام الثانى عشر من حكم رمسيس الحادى عشر ـ قامت الثورة ، وأخذت فى طريقها الكاهن الأكبر « آمون حتب » (ومعناه آمون الطيب) وأسرته • وتهددت مصر الحروب الأهلية التى استمرت حوالى تسعة شهور ، ولم تكن فى مصر قوة تستطيع أن تسيطر على الفوضى ، وفى تلك الأيام العصيبة استنجد ملك مصر رمسيس الحادى عشر بنائبه فى كوش ، حيث طلب من بانحسى أن يحضر بجيشه ويقضى على الفوضى ، فلبى بانحسى النداء • ويبدو أنه استطاع القضاء على معظم مراكز الفوضى فى طيبة وفى مصر الوسطى بالقوة العسكرية ، وبعدها عاد الى مقر عمله بعنيبه ، ولم يحاول استغلال الموقف ، رغم أنه كان يمثل القوة الوحيدة الباقية فى وادى النيل حينذاك • ولعل ذلك مرجعه الى تقديس أهل كوش لأشخاص الملوك ، فالمعروف أن عبادة شخص الملك قد صادفت رواجا فى كوش أيام الدولة الحديثة • وتدل الوثائق على أن بانحسى كان موجودا فى مقر عمله بالنوبة حتى العام السابع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر ، يزهو بثقة فرعون حيز كلفه بتسهيل مهمة أحد رجاله الذى أرسل الى منطقة الشلالات (٣٦) •

أما فى طيبة فلقد ظهرت شخصية جديدة بدلا من الكاهن الأول السابق لآمون ممثلة فى شخص حريحور ، والمعتقد أنه من أتباع بانحسى • وبعد أن استطاع أن يصل الى رئاسة كهنة آمون وتولى منصب الوزارة ، ضم اليه منصب نائب الملك فى كوش بعد وفاة بانحسى ، وأخيرا بعد أن ودع الدنيا آخر ملوك الرعامسة فى طيبة ، أسس حريحور أسرة حاكمة عرفت فى تاريخ مصر باسم الأسرة الحادية والعشرين (١٠٨٥ ـ ٩٥٠ ق•م) على عكس سلفه بانحسى الذى تصرف بأمانة ونكران للذات ، ولم يحاول استغلال نفوذه كنائب للملك فى كوش وكقائد لأكبر قوة موجودة حينذاك • وظلت كوش على ولائها لمصر طوال سنوات الضعف السياسى التى ابتليت به البلاد فى أواخر أيام الرعامسة •

---

(٣٦) Kees, op. cit., S. 9/10.

ثانيا ، مركز كوش السياسى

رأينا كيف تقدمت كوش بعد ضمها الى مصر فى مضمار الحضارة لتأخذ المركز اللائق بها كبلاد ذات موارد طبيعية وبشرية غير محدودة ، فغدت فى فترة وجيزة من أقوى العوامل الموجهة لسياسة الوادى ، حيث أصبحت تكون جزءا هاما فى بناء الدولة المصرية • ولقد ازدادت اهمية كوش منذ أواخر أيام الدولة الحديثة ، وشرع الملوك وكذا المتطلعون للعرش يحاولون كسب كوش الى جانبهم ، وبدت تصرفاتهم تدل على تفهم لقوة مركز كوش وأثره فى تشكيل سياسة الوادى •

ولو حاولنا استعراض ما تم فى هذا السبيل لاعتبرنا زيارات « حور محب » الى كوش خلال فترة صراعه مع منافسه « آى » فى أعقاب الأسرة الثامنة عشرة، وقبل توليه السلطة الرسمية ، أى فى أيام توت عنخ آمون • كذلك رحلته الى كوش بعد أن استولى على العرش ، كانت من قبيل الاطمئنان على ولاء أهلها •

وتحدثنا الوثائق (٤٠) عن زيارة قام بها أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة المدعو « رمسيس سبتاح » خلال السنة الأولى من حكمة بغرض تعيين نائب الملك المدعو « سيتى » فى منصب حاكم كوش ، وقد حمل مبعوثه هدايا ومكافآت قيمة لكبار موظفى تلك البلاد • وأما آخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة الملك مرنبتاح ـ سبتاح ، فقد أرسل الى كوش أحد رجاله المختارين ليقوم باحضار الجزية بنفسه ، وذلك تقليد لم يقابلنا مثيل له من قبل • ولعله كان يرمى من وراء ذلك أيضا الى التفتيش ، وتقديم تقارير للملك عن مدى ولاء أهل تلك البلاد (٤١) •

أما ما ذكر عن امكانية وصول نائب الملك فى كوش المدعو سيتى الى العرش فى أعقاب رمسيس ـ سبتاح (والاسم معناه رمسيس بن بتاح معبود منف) ، فربما تدعمه حقيقة أن كوش قد أصبحت تمثل عاملا له أثره فى السياسة المصرية •

---

(٤٠) BAR III, 642.

(٤١) Buhen, p. 26, pl. 12.

ودار الزمن دورته وانتقل حكم مصر من الأسرة التاسعة عشرة الى الأسرة العشرين • وهناك ظهرت بوادر الضعف والتفكك داخل القصرنفسه • ولقد حدثنا التاريخ عن وقوع مؤامرة دبرها حريم الملك رمسيس الثالث للتخلص من الجالس على العرش • وتذكر وثائق التحقيق فى الحادث الفاشل أن نفرا من المتامرين سعى فى طلب التأييد والعون من كوش ، حيث اتصلت اخت قائد الجيش فى كوش (والتى اشتركت فى المؤامرة) بأخيها للاشتراك فى المؤامرة ، ولما كشف النقاب عن المتآمرين قدموا الى المحاكمة زمن رمسيس الرابع ونفذ فيهم حكم القضاء • والغريب أن نائب الملك فى كوش فى ذلك الوقت لم يخرج عن ولائه للملك ، وظل اسمه بعيدا عن التآمر • ولو كانت هناك اية شبهة نحوه لما استمر فى منصبه • فالمدعو حورى الثانى الذى شغل المنصب فى زمن رمسيس الثالث قد استمر فى منصبه أيضا زمن رمسيس الرابع (٤٢) • وقد سبق أن ذكرنا قيمة الدور الذى لعبه بانحسى فى نهاية عصر الرعامسة •

واذا ما تتبعنا سير الحوادث بعد ذلك مباشرة لتبين لنا أن شخصا من الجيش يدعى حريحور استطاع الجمع بين منصب الكاهن الأكبر ومنصب نائب الملك فى كوش ثم منصب الوزارة ، اى انه استطاع أن يجمع فى يده كل السلطات • وادراكا منه لخطورة منصب نائب الملك فى كوش فانه ظل محتفظا به الى أن بلغ العرش ، فأسنده الى أقرب الناس اليه اى الى ابنه بعنخى (٤٣) ، ولاشك أن فى ذلك تأكيدا بليغا لما أصبحت عليه كوش • من قوة فعالة مؤثرة فى تاريخ مصر نفسه •

ذلك كان شأن كوش — فلنبحث علام اعتمدت كوش للوصول الى تلك المكانة السياسية المرموقة ؟

لاريب أن ثروة كوش الطبيعية فى ذلك الوقت كانت تشكل حجر الزاوية ، يضاف الى ذلك قوة جيشها الذى نظم على غرار الجيش فى مصر ، ثم جهازها الادارى • هذا وقد سبق أن أثبتنا عدم افتقار كوش لرجال لامعين ، وقادة من

---

(٤٢) Buhen, p. 248; Saeve-Soederbergh, Aegypten und Nubien, p. 117.

(٤٣) وهو غير بعنخى ملك نبته الذى استطاع فتح مصر فيما بعد •

كل المستويات ، كل تلك العوامل تضافرت لتجعل من كوش عنصرا مؤثرا فى توجيه سياسة مصر ، مما اهلها لتولى مسئولية اكبر فى المستقبل ٠

واذا ما القينا نظرة على واردات مصر من كوش أيام الدولة الحديثة ، لوجدنا أن كنوزها المعدنية ومنتجاتها العديدة ، وغلاتها ثم وفرة الأيدى العاملة فيها ، كانت تمثل أهم تلك الواردات ٠ ولعب معدن الذهب دورا كبيرا بين واردات كوش أيام الدولة الحديثة ، واذا ما رجعنا الى أيام حضارة كرمه لوجدنا أن مقابرها ـ رغم نهبها مرارا ـ قد أمدتنا بعدد ليس بالقليل من المصنوعات الذهبية ، مما يدل على أن الذهب كان يستخرج بكميات كبيرة من مناجم كوش قبل قيام الدولة الحديثة ٠ ولقد ظلت كوش تمثل مورد الذهب الرئيسى لمصر طوال عصر الرعامسة ، بدليل تلك النقوش المسجلة على معبد الأقصر وعلى معبد مدينة هابو وفى بردية هاريس ٠

ولقد أمدتنا أقدم مقابر الكرو التى تخص أسلاف ملوك نبته بكمية كبيرة نسبيا من الذهب ، على الرغم من صغر حجمها وكثرة نهبها قديما فى العصور المختلفة ٠ فأقدم قبر منها أمدنا بما قيمته حوالى ٢٨ جنيها استرلينيا ، كما عثر فى مقبرتين أيضا على تمثال صغير من الذهب الخالص ، وعلى بعض قطع الزينة ٠ وان ذلك وحده ليشير الى مقدار ما كانت تضم تلك المقابر من صناعات ذهبية ، كان يكثر استعمالها بين هؤلاء القوم ٠ هذا من ناحية وفرة الذهب فى البلاد باعتباره من أهم عناصر القوة عموما ٠ والى جانب الذهب كأحد العناصر المكونة لثروة كوش المحلية ، تذكر مصادر عصر الرعامسة فى أواخر عهد المصريين بأرض كوش أن كلا من الزراعة وتربية الحيوان قد ازدهرتا أيضا فى كوش ، وبهذا نتبين مدى ما كانت تتمتع به البلاد من مصادر للثروة ساعدتها لكى تتبوأ مكانها الممتاز ٠

وسبق أن أوضحنا كيف أصبح الجيش فى كوش أيام الدولة الحديثة على درجة عالية من الكفاءة ساعدته على انقاذ مصر من خطر ثورة الكهنة أواخر أيام الأسرة العشرين ٠

وينبغى أن نذكر أن شهرة أهل كوش كمحاربين قد أعطتها مصر قدرها

منذ أقدم العصور ، ولا شك أن سعى ملوك الأسرة السادسة المصرية لتجنيد فرق حربية ، وفرق للعمل من أهل كوش ليكونوا جيشا تعداده عشرات الألوف ، فيه مايؤكد هذه الحقيقة • وفى زمن العصر الاهناسى ، وهى جزء من مرحلة الانحلال السياسى التى امتدت من سقوط الدولة القديمة حتى قيام الدولة الوسطى (حوالى ٢٢٦٣ ق•م• ـ ٢٠٤٠ ق•م• تقريبا) فى مصر ، لعبت القوات الكوشية دورا هاما أثناء الخلافات بين بيوتات الحكم المتنازعة فى كل من مصر الوسطى والصعيد ، وقد حفظ لنا أحد حكام الأقاليم فى مصر الوسطى ويدعى « مسحتى » (أى التمساح) فى مقبرته بأسيوط ، نموذجا فريدا لفصيلة من المحاربين من أهل كوش ، الذين تخصصوا فى حمل الأقواس وبالضرب بالنبال ، وأطلق عليهم قديما حملة الأقواس ، ولقد حفظ لهم التاريخ دورهم المشرف فى مساعدة القوات المصرية لطرد الغزاة الهكسوس فى مطلع الدولة الحديثة ، فالملك كاموسى ـ أحد أبطال التحرير ـ يفخر بأن الفرق المجاوية كانت فى مقدمة قواته المحاربة ضد الآسيويين المعتدين ، ولابد أن هؤلاء القوم هم أصحاب المقابر المعروفه باسم (Pan-Graves) ، ويختلف المؤرخون فى تحديد أصلهم ، ومع ذلك يمكن اعتبارهم من أصحاب المرحلة المتطورة الأخيرة من حضارة المجموعة الثالثة وربما كانوا من أصحاب حضارة كرمة •

وهناك رسم نادر لأحد أولئك المحاربين (٤٤) ، عثر عليه فى جبانة « مستجدة » (بالقرب من دير طاسا والبدارى فى محافظة أسيوط) صور على قطعة العظم العريضة المكونة لجبهة أحد حيوانات الضحية ، وهى بالألوان وتمثله واقفا ببشرته السوداء ، حليق الرأس والوجه ، يلبس مئزرا قصيرا الى ما فوق الركبة ، لونه أحمر داكن والجزء العلوى من الجسم مكشوف بينما يتحلى بعقد واسع ، ويتسلح بفأس القتال من خلف ظهره ، ويحمل فى يده اليمنى ما يشبه السوط ، أما اليد اليسرى فتمتد قليلا الى الأمام ، حيث كتب اسم داخل مستطيل يمتد من محاذاة الرأس تقريبا حتى أعلى الركبة ، وفى داخل هذا المستطيل حروف هيروغليفية عددها ٦ : ق•س•ك• (أو - د) • م•ن•ت• ربما كانت تدل على اسم ذلك المحارب ، ولعل المقطع الأخير من اسمه

---

(٤٤) انظر اللوحه رقم ٣ •

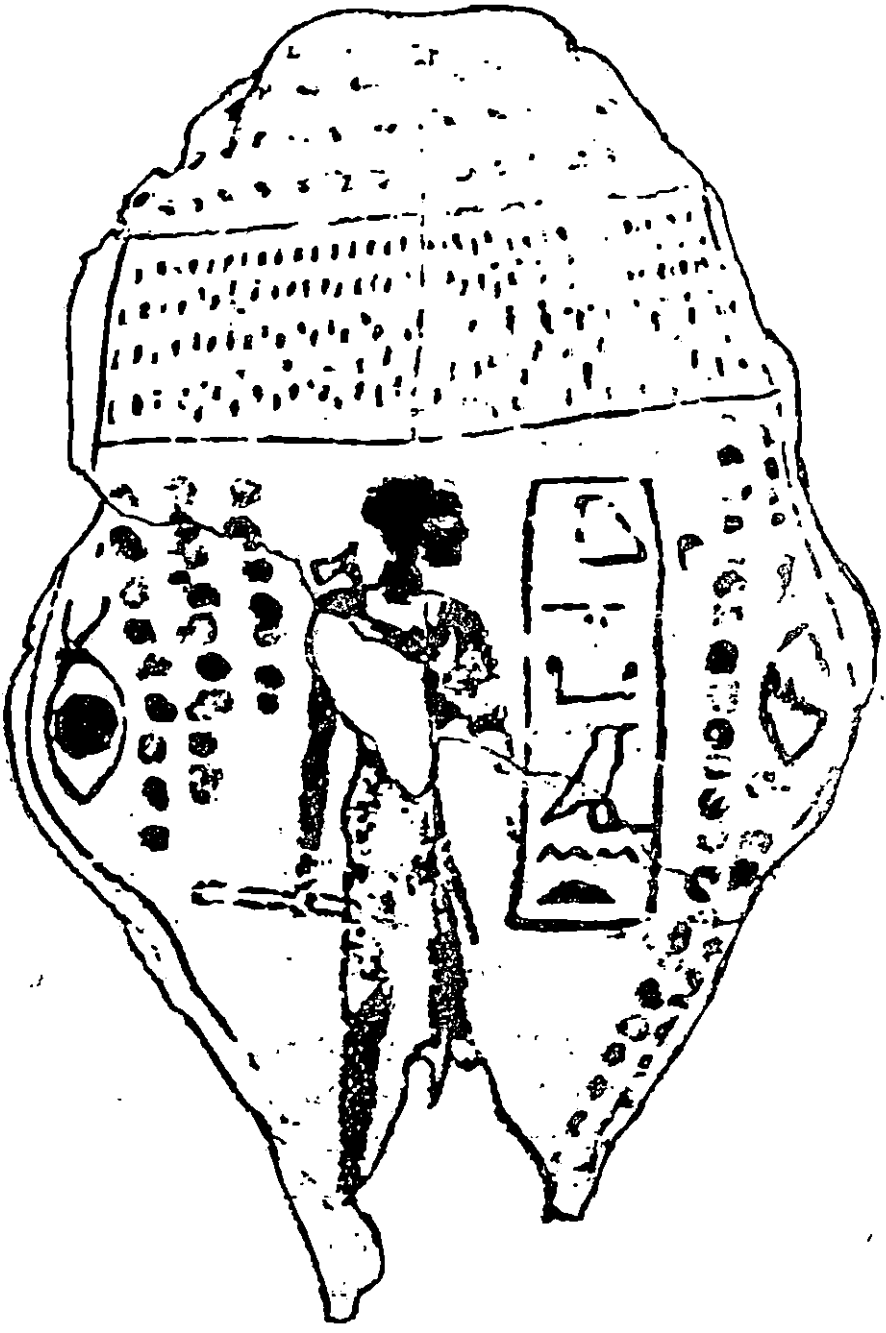

٢ ــ رسم لأحد المحاربين من أهل النوبة
الذين ساهموا فى حروب التحرير

(منت) = آمونة ، له صله بالاله آمون أو بزوجته الأصلية (امنة) ٠ والملاحظ أن هذا المحارب كان يرتدى زيا مصريا ، ويتحلى على الطريقة المصرية ويتسلح بسلاح مصرى أيضا ، وربما يرجع ذلك الى أثر الحضارة المصرية على هؤلاء القوم ٠

ولا جدال فى أن غالبية هؤلاء المحاربين كانوا جنودا أحرارا ، تشهد بذلك محتويات قبورهم ، وما عثر عليه فيها من صناعات ذهبية ، وهى تؤكد أنهم كانوا يمنحون رواتب مجزية ، حتى أن بعضا منهم كانوا يمتلكون العبيد ، كما ظهر ذلك فى تحقيقات سرقات المقابر فى أواخر عصر الرعامسة ٠

ومع أن مصادر تاريخ كوش فى الفترة ما بين نهاية الدولة الحديثة وقيام الأسرة الخامسة والعشرين تكاد تنعدم ، الا أننا نتوقع استمرار كوش فى تطورها الطبيعى خلال تلك المرحلة معتمدة على مصادرها البشرية والمادية لتصبح فيما بعد فى موقف يسمح لها بفتح مصر ، والسيطرة على مقاليد السياسة والحكم فى وادى النيل طوال ما يقرب من ١٠٠٠ عام ٠

أما فيما يتعلق بتسلسل الأحداث فى مصر بعد ذلك فان الحكم انتقل على يد حريحور من الأسرة العشرين الى الأسرة الحادية والعشرين (أسرة الكهنة ١٠٨٥ ـ ٩٥٠ ق٠م) وانقسمت مصر الى قسمين ، دولة تحكم فى طيبة هى أسرة الكهنة والثانية تحكم فى تانيس شرقى الدلتا ٠

وفى زمن الأسرة العشرين وما بعدها استطاع الليبيون (الماشواش) عن طريق استخدامهم فى جيش مصر أو كعمال أن يستقروا فى البلاد ، وأن يأخذوا السلطة فى أيديهم ، وغالبا عن طريق سيطرة زعماء الماشواش منهم على مناصب الكهانة فى الأقاليم وخاصة فى الدلتا ومصر الوسطى ، الى أن استطاع أحد زعمائهم ويدعى شيشنق أن يصل الى الحكم فى مصر ، ويؤسس الأسرة الثانية والعشرين متخذا من مدينة بوباستيس (تل بسطة ـ الزقازيق) فى شرقى الدلتا عاصمة له ٠